﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ ١٠٠﴾

[هود: 100]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

القصص السّابقةُ دليلُ صدق وأمارة نبوّة

لمّا ذكر تعالى بعض قصص المرسلين، وما حلَّ بأممهم من النَّكال، ذكر هنا العبرة من سرد هذه القصص، لتكون شاهدًا على تعجيل العقوبة للمكذِّبين، وبرهانًا على تأييد الله ونصرته لأوليائه وأنبيائه.

وهي دليل على صدق نبوّة محمَّد ﷺ لإخباره عن تلك القصص من غير مطالعة كتب، ولا مدارسة معلِّم ولا تلمذةٍ لأحد، فهي معجزة عظيمة تدلّ على النُّبوّة الصّادقة.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نَقُصُّهُۥ﴾: القافُ والصّادُ أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على تَتَبُّعِ الشَّيْءِ، مِنْ ذلك قَوْلُهُمْ: اقْتَصَصْتُ الأثَرَ، إذا تَتَبَّعْتَهُ، ومِنْ ذلك اشْتِقاقُ القِصاصِ في الجِراحِ، وذلك أنَّهُ يُفْعَلُ بِهِ مِثْلُ فِعْلِهِ بالأوَّلِ، فكَأنَّهُ اقْتَصَّ أثَرَهُ[1]، والقَصَصُ: الأخبار المتتبّعة[2]، وقال أبو هلال: "القصص ما كان طويلًا من الأحاديث متحدَّثًا به عن سلف، وسمّي الخبر الطويل قصصًا، لأنَّ بعضه يتبع بعضًا حتَّى يطول، وأصل القصص في العربية: اتِّباع الشيء بالشيء"[3].

والمعنى المراد في الآيةِ: ننزله عليك تباعًا بطريق الوحي.

2) ﴿قَآئِمٞ﴾: القافُ والواوُ والميمُ أصْلانِ صَحيحانِ، يَدُلُّ أحَدُهُما على جَماعَةِ ناسٍ، ورُبَّما اسْتُعيرَ في غَيْرِهِم، والآخَرُ على انْتِصابٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قصَّ).
(2) الرّاغب، المفردات: (قصَّ).
(3) العسكريّ، الفروق اللُّغوية، ص: 38.

أو عَزْم[1]، وهو المراد هنا، فمعنى (أقامَ) بالمَكانِ لبث فيهِ واتّخذه وطنًا، والقائم من البناء: المرتفع الثابت، وأقام البناء: عدَّله وأزال عوجه[2]، والمراد من اسم الفاعل ﴿قَآئِمٌ﴾ في الآيةِ، أي: من القرى ما هو عامر باقٍ بنيانه، وقد هلك أهله، فيُرى للاعتبارِ به.

3) ﴿وَحَصِيدٌ﴾: دلَّ الأصل الثُّلاثيُّ (حصد) على معنى قطعِ الشَّيءِ[3]، والحَصْدُ: جَزُّكَ البُرَّ ونَحْوهُ منَ النَّباتِ، حَصَدَ الزَّرْعَ وغَيْرَهُ منَ النَّباتِ يَحْصِدُه ويَحْصُدُه حَصْدًا وحَصادًا وحِصادًا، والزَّرْعُ مَحْصودٌ وحَصيدٌ وحَصيدَةٌ وحَصَدٌ، بالتَّحْريكِ، والحَصيد: أسافل الزَّرْعِ التي تَبَقَّى لا يَتَمَكَّنُ منْها المنْجل، والحَصيد: المَزْرَعَة لأنها تُحْصَد، والحصيدُ: الذي حَصَدَتْه الأيدي"[4].

والمراد هنا اسمُ المفعول محصود، أي: خراب قد اندثر أهله فلم يبق له أثر كالزرع المحصود.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قصصُ القرآنِ خبرٌ صادقٌ ومقصد فائقٌ

بعد الانتهاءِ من ذكرِ مجموعةٍ من قصص الأقوام السّابقة، وما كان لهم من جزاءٍ وعقاب، أخبرتِ الآيةُ النَّبيَّ ﷺ عن طريقِ خطابِه بقصد الاعتبارِ وإنذارِ قومه، للنَّظر وتأمّل التّاريخ البشريِّ، وأنَّ ما كان للسّابقين سيكون للّاحقين، فإن لم يتدارك النّاسُ أنفسَهم فسيكونون حدثًا يروى، أو خبرًا يُطوى، وقد جعلت الآية السّابقين على قسمين، منها القائم بالبناءِ من مثل مدائن صالح عليه السلام، فهي آية قائمة للاعتبارِ، لا للغفلة والاغترار، ومنها المحصود الذي لا يُعرف أثره ولا رسمه كعاد، فمن رأى آثارَ قومٍ فليعتبر بهم وليجعلهم

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قوم).
(2) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: (قام) بتصرف.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حصد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (حصد).

قياسًا على الحصيد، والآية من أدلّةِ صدقِ رسول الله ﷺ، حيث إنَّ الأخبار الغيبية المتعلّقة بالأمم من آيات الإعجاز الغيبيِّ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة الاستئناف:

جاء قولُه تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ استئنافًا بيانيًّا، "لِلتَّنْويهِ بشَأْنِ الأنْباءِ التي مَرَّ ذِكْرُها"[1]، فإنَّ الانتهاءَ من سردِ أحداثٍ فيها عبرة وعظة، أن يدعو ذلك للاعتبارِ والاتِّعاظ والقيام بالصَّوابِ.

العبرةُ مطلبُ النِّهايات والعظةُ تظهر في الغايات

غرضُ استعمالِ اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾:

آثر النَّظم استعمال اسم الإشارةِ البعيدِ، وهو يريد: القِصَص التي تَقَدَّمَتْ في السّورةِ، "إشارة إلى ما قُصَّ من أنباء الأمم وبعده باعتبار تقضّيه أو باعتبار ما قيل في غير موضع، والخطاب لرسول الله ﷺ"[2].

العبرُ البليغةُ والمعاني العالية والعظات السامية يُشار إليها بالبعيد

وغرض الإشارةِ بالبعيدِ أنَّه "لمّا كانت هذه الأخبار على غاية من التَّحذير، لا يعرفه إلا بالغ في العلم، كان من المعلوم قطعًا أنَّه ﷺ لم يأتِ بها إلا من عند الله للعلم المشاهد بأنَّه لم يعانِ علمًا ولا ألمَّ بعالم يومًا، هذا مع ما اشتملت عليه من أنواع البلاغة، وتضمّنته من أنحاء الفصاحة، وأومأت إليه بحسن سياقاتها من صروف الحكم وإفادة تفصيلها من فنون المعارف، فلذلك استحقّت أن يشار إليها بأداة البُعد إيماءً إلى بُعد المرتبة وعلو الأمر"[3].

سرُّ استعمالِ لفظ النَّبأ:

النَّبأ هو الخبر إلّا أنَّه يوصف بعظمته وعلوِّه كما ورد عنه التَّعبير

يختصُّ النَّبأ بالخبرِ الصادقِ ذي الشَّأنِ العظيم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 12/157.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 12/135.
(3) البقاعي، نظم الدّرر: 9/370.

في القرآن كلِّه، بل هو أكثر استعمالًا، ولمّا كانت قصص الأمم السّابقة من الخطورة بمكان، والحديث عنها يتطلَّب أن يخبر بها صادق لا يجرَّب عليه كذبٌ أو افتراءٌ، استعمل لفظ الأنباء دون الأخبار، والمراد بالنَّبأ هنا الخبر العظيم والخطب الجسيم، وجاء التَّعبير بلفظ النَّبأ، لأنَّ الخبر فيه عظيم الشَّأن، ومن هنا جاء اشتقاق لفظ النَّبيِّ، والنَّبأ: هو الخبر المقطوع بصحَّته وقوَّته، أمّا الخبر فهو قول يحتمل الصِّدق والكذب لذاته، ومن هنا عبّر القرآن الكريم عن جميع الأمور والأخبار المقطوع بصحّتها بالنَّبأ.

معنى الإضافة:

أُضيفت الأنباءُ إلى القرى في قوله تعالى: ﴿أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾، ومعنى الإضافة التبعيض، أي: أنباءٌ بالغةٌ إليك ولغيرك من القرى المقصوص عليك أنباؤها.

بعضُ الأنباءِ يُغني عن كثيرِها

بلاغةُ المجازِ في لفظِ القرى:

في لفظِ ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ مجازٌ بحذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليه مقامَه، وإطلاقُ القرى دون أن يقولَ أهل القرى، لإفادةِ أنَّ المراد ما يخصُّ الاعتبار منها، وأما أهلها فهم أعمُّ من ذلك، إذ يدخل المؤمن والصالح،

المرادُ بالقرى الأحداث الحالَّةُ فيها لا جميع أهلها

أو أن يكون اللَّفظُ مجازًا مرسلًا علاقته المحلّيَّة، حيث أطلق القُرَى، وأراد أهلَها المهلَكون، لأنَّهم هم المخصوصون بالهلاك، وهم الذين تصل إلينا أخبارهم وأنباؤهم في كونهم مصبَّ الحديث، وأنباؤهم هي محطُّ الاعتبارِ ومدرج الاتّعاظ من هلاكهم وتعذيبهم، مع ما أفادته هذه الإضافة من الإيجاز والاختصار.

اختصاصُ النبي ﷺ بالخطابِ ليكون قدوةً المؤمنين

بلاغةُ الإعرابِ في توضيحِ الدّلالات:

وقعت هذه الجملة ﴿نَقُصُّهَا﴾ خبرًا ثانيًا لاسم الإشارةِ في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ﴾، والجارّ والمجرور ﴿عَلَيۡكَ﴾ متعلّقان

بالفعل ﴿نَقُصُّهُۥ﴾، لتخصيص القصص به ﷺ، تطمينًا لقلبه وتسلية له في تكذيب قومه له، والمراد: ذلك القصص من أخبار القرى التي أهلكنا أهلها بكفرهم وتكذيبهم الرُّسل، نقصُّه عليك يا محمد ونخبرك عنها بطريق الوحي.

سرُّ التَّعبير بصيغة المضارع:

تجدُّدُ الاعتبارِ قائمٌ وإن اكتملَ نزولُ القرآنِ

جاء التَّعبير بالفعل المضارع ﴿نَقُصُّهُۥ﴾، وإن كان القصُّ قد تمَّ وانتهى، إلّا أنَّه عبَّر بالمضارع الدّالّ على التَّجدُّد والاستمرار لكون الاعتبارِ من القصص لديه ﷺ ولدى أمَّته متجددًا لا ينقطع، ولاستحضار صورة هذا القصِّ البليغ الذي يتضمَّن العبرة والعظة من أحوال الرسل عليهم السلام، وما وقع من تكذيب أممهم لهم ومعاقبته ﷻ على أفعالهم الشَّنيعة وطبائعهم الرذيلة.

نكتةُ تذكير الضَّمير:

العبرةُ كامنةٌ في مجموعِ القصصِ

آثر النَّظم تذكيرَ الضَّمير في قوله تعالى: ﴿نَقُصُّهُۥ﴾ دون أن يقول: (نقصُّها)، ليرجع إلى اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾، لا إلى ﴿أَنۢبَآءِ﴾، فجمع النَّظم جميعَ القصص السّابق ذكرها في اسم الإشارةِ، ثم قال: ﴿نَقُصُّهُۥ﴾، أي: نقصّ ذلك المذكور عليك، ونكتةُ ذلك، أنَّ القصص السّابق غايتها واحدةٌ، وهي عبادة الله تعالى وحدَه، فعوملت معاملة النَّبأ الواحد، ليحصل الاعتبار من مجموعِها جميعِها.

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيّ:

آثارُ الغابرين عبرةٌ لأولي الأبصار لا غفلةٌ لأهلِ الاغترار

وقعت هذه الجملة ﴿مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ مفصولة عن سابقتها لشبه كمال الاتِّصال، فهي مستأنفة استئنافًا بيانيًّا، لأنَّه لمّا ذكر ﷻ أنباء القرى كأنَّ سائلًا سأل: ما حال هذه القرى الآن؟ أباقيةٌ آثارُها أم عفتْ واندثرت؟ فجاء هذا الجواب لبيان حالها، أي: بعضُها باقٍ وبعضها عفا أثره فصار كالزَّرع القائم على سوقه الذي حُصِدَ.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّصريحيَّة:

الاعتبارُ بالآثار الدّارِسَة مسلكُ النُّظّار

في قوله تعالى: ﴿قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ شُبِّه ما بقي من آثار القرى وجدرانها بالزَّرع القائم على سوقه، وشُبِّه ما هلك مع أهله ولم يبقَ له أثر بالزَّرع المحصود بالمناجل، في دقّة تصوير وبراعة نسجٍ، فحذف في اللَّفظين المشبَّه وصرَّح بالمشبَّه به على سبيل الاستعارةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، وحسُنت الاستعارةُ بالمقابلةِ.

توجيه نكتةِ التَّقديم والتَّأخير:

الاعتبارُ بالموجودِ لا بالمفقودِ

قُدِّم ذكرُ ﴿قَآئِمٌ﴾ على ﴿وَحَصِيدٌ﴾ من باب تقديم الأصل على الفرع، فلا يقع حصاد إلّا بعد وجود الزَّرع القائم، ولا يقع خراب إلّا بوجود عامر يسقط عليه هذا الخراب، ولا يذكر المفقود إلّا بعد ذكر الموجود، وإلّا كيف تكون العبرة؟ ولا يقع العقاب إلّا على ما يتندَّمُ عليه، وهو من باب التَّرقّي من الأعلى إلى الأدنى، ومن الموجودِ إلى المفقود، ومن الظّاهر إلى الباطن، ومن الحاضر إلى الغائب.

سرُّ اختلافِ التَّعبير بين اسم الفاعل والفعيل:

الأثـر الباقي قائمٌ للاعتبارِ والمندرسُ فقدُه أعظم اعتبار

جاء التَّعبيرُ باسم الفاعل في قوله تعالى: ﴿قَآئِمٌ﴾، وذلك باعتبارِ أنَّ الآثارَ ما زالت قائمةً تُرى، فكأنَّها قائمةٌ ليراها النّاس للاعتبارِ، بينما جاء التَّعبيرُ بصيغةِ فعيل دون مفعول في قوله تعالى: ﴿وَحَصِيدٌ﴾، وهو مجاز عقلي لعلاقة المفعوليَّة، لأنَّ فعيل بمعنى مفعول، والمراد به الزَّرع المحصود، وهو أبلغ في التَّعبير من أن يقول: محصود، لما فيه من الدَّلالة على قطع الأثر وعدم بقائه أبدًا.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

النَّبأ والخَبَر:

الخبر قول يحتمل الصّدق والكذب لذاته، والنبأ يُطلق على ما هو عَظيم الشَّأن

الخبر هو القول الذي يصحّ وصفه بالصدق والكذب، ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك[1]، أمّا النَّبأ فلا يكون إلا للإخبار

(1) العسكريّ، الفروق اللغويّة، ص: 210.

بما لا يعلمه المخبر، ويجوز أن يكون الخَبَر بما يعلمه وبما لا يعلمه، ولِهذا يُقال: تُخبرني عن نفسي، ولا يُقال: تنبئني عَن نَفسي، وكَذلك تقول: تُخبرني عَمّا عِنْدي، ولا تَقول: تنبئني عَمّا عِنْدي، وفي القُرآن ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٦﴾ [الشعراء: 6] وإنَّما استهزؤوا بهِ لأنَّهم لم يعلموا حَقيقَته، ولو علموا ذَلِك لتوقّوه، يَعْني: العَذاب، وقالوا في النَّبأ معناه: عَظيم الشَّأن، ولِهذا يُقال: سَيكون لفُلان نبأٌ، ولا يُقال: خبر بهذا المَعْنى"[1].

القرية والمدينة:

القَرْيَةُ، سُمّيَتْ قَرْيَةً لِاجْتِماعِ النّاسِ فيها، والقرية هي المصر الجامع الذي اتَّصلت به الأبنية، وهي اسم للموضع الذي يجتمع فيه النّاس، وللنّاس جميعًا، ويستعمل في كلّ واحد منهما، مأخوذة من القَرْي وهو إطعام الطَّعام[2].

القرية تدلّ على التجمّع، والمدينة تدلّ المصر الجامع المحصَّن

والمدينة المصْر الجامع المحصَّن، وتعريف المدينة بالحصن يذكّرنا باتخاذ القدماء قِلاعًا ونحوها مبالغةً في الامتناع والتحصّن من الأعداء، وفيه الفرق بينها وبين القرية التي هي تجمُّع لبيوت لم يُلحظ فيه التحصّن[3]، والأخذ بأسباب الحضارة والمدنيَّة.

(1) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 38، 37.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات: (قرى).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (مدن).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 21 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك :978-9948-768-18-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 21 : المجلد الحادي والعشرون، سورة هود من الآية 41 إلى الآية 114.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي :978-9948-768-18-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725944 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»